# العولمة الثقافية و فرضية الاحتواء

# Cultural globalization and the premise of containment

**د. أعمر فضيلة- استاذ محاضر "أ"**

**جامعة الجزائر**

| **تاريخ الارسال :** 2020/ 04/20 | **تاريخ القبول :** 2020/05/25 | تاريخ النشر :2020/06/30 |
|---|---|---|

**ملخص الدراسة:**

إن هنالك ثقافة عالمية آخذة في التشكل تتجاوز كافة الحدود الثقافية القومية أو المحلية الأخرى، قد يصف البعض هذه الثقافة العالمية الجديدة الآخذة بالتشكل بأنها ثقافة سطحية أو استهلاكية أو غزو ثقافي أو مادية أو غير ذلك، و لكن مهما كان الوصف المعطى، فانه لا ينفي الحقيقة القائمة ألا وهي أن مثل هذه الثقافة تنتشر و تسود على حساب ثقافات محلية و قومية عديدة ،وبذلك قد نشجب مثل هذه الثقافة و قد نرفضها ،لكن لا الرفض و لا الشجب قادران على وقف زحفها، طالما لا نقدم بديلا ثقافيا قادرا على المنافسة في عصر متغيرات متسارعة و ليس مجرد الوعظ والنصح.

و قد هدفت الدراسة إلى وصف البعد الثقافي للعولمة ، وتبيان آثارها على المجتمع العربي و هويته ، و من أبرز ما توصلنا إليه أن الضعف الذي تعانيه المجتمعات العربية على كل الأصعدة، سمح لهذه الظاهرة بالنخر في ثقافتها و تفتيت هويتها و تغريبها ،فتم استغلال ما يسودها من حرمان و جهل وأزمات لتمرير مشروعها و بالتالي إخضاعها.

**الكلمات المفتاحية: العولمة، الثقافة، العولمة الثقافية.**

**Abstract:**

There is a global culture that is shaped beyond all other national or local cultural boundaries.

Some may describe this new global culture emerging as the new culture of the world being formed as a superficial culture or consumerism or cultural invasion, material or otherwise, but whatever the description given, it does not negate the fact that the existence of such culture spread and prevail at the expense of local cultures and we may deplore such a culture and we may reject it, but neither rejection nor condemnation can stop its march as long as we do not offer a cultural alternative capable of competing in an age of rapid change rather than mere exhortation. The study aimed to describe the cultural dimension of globalization and its effects on Arab society In order to achieve these goals, a descriptive analytical approach was used to process the data.

One of the most prominent findings is that the weakness experienced by Arab societies at all levels has allowed this phenomenon to decay in its culture and fragmentation of its identity and alienation has been exploited the prevailing deprivation and ignorance and crises to pass the project and thus subjugate.

**Key words:** Globalization, culture, Cultural Globalization.

**مقدمة :**

الكائن الإنساني رهن لإمكاناته على أن يحول الواقع و أن يتغير عما هو عليه فكرا و هوية أو فعلا و ممارسة من خلال ما يخلقه من العوالم المختلفة بقواها و علاقاتها أو المتميزة بلغاتها و رموزها ، أو الفعالة بأدواتها و وسائطها .

واليوم تنفتح مع ثورة المعلومات إمكانات هائلة أمام الإنسان تتجسد في قدرات خارقة على الفعل و التأثير ، ولا مبالغة في القول بأن عالما جديدا يتشكل مع ظاهرة العولمة ، يترافق مع ظهور فاعل بشري جديد يعمل عن

بعد و بسرعة الضوء أو الفكر بقدر ما يستخدم طرقات الإعلام السريعة والمتعددة أو يتعامل مع شبكات الاتصال المعقدة و الفائقة ، إنه الإنسان التواصلي الذي تتيح له الأدمغة الآلية و التقنيات الرقمية التفكير ة العمل على نحو كوكبي و بصورة عابرة للقارات والمجتمعات والثقافات .

غير أن ما يحدث و يتشكل هو إمكان و فرصة بقدر ما هو تحد و مشكلة بمعنى أنه ليس مجرد معطى جاهز و إنما هو شيء يشتق و يستخرج أو يبتكر و يصنع ، و بالاندراج في سيرورة معقدة ومتواصلة من عمليات الخلق و التوليد أو من أعمال الصرف و التحويل ، ولذا فان الإمكانات التي تطلقها العولمة الثقافية الشاملة بفتوحاتها وتحولاتها الجارفة تفتح آفاقا جديدة للوجود و الحياة و لكنها تشكل في الوقت نفسه تحديات ضخمة ، فكرية و تقنية ،اقتصادية و مجتمعية تطرح أسئلتها المربكة على المعنيين بالشأن الفكري، فالعولمة الثقافية فكرة لها من معها و لها من هو ضدها ،و لكن العالمية الآن فكرة جديدة تقوم على توحد السوق، بل على كونية الأفكار و تلاقيها ، أو وجوب هذا التلاقي ، العالمية نقطة التقاء فكري و ثقافي و حضاري و الحديث عن صراع حضارات أيا كان مصدره و مهما كانت ردود الفعل ضده ، حديث يتلاشى مع فكرة تكامل الحضارات و حوارها و التقائها من ضمن مفهوم جديد يعترف بها كلها و يشملها كلها ، مفهوم العالمية و وجوب الاعتراف الشامل من جانب هذه الحضارات بعضها ببعض،فكل حضارة و في مرحلة ما من تاريخها عاشت عالميتها و عاشت عولمتها أو حاولت ذلك ، و الآن قد آن الوقت لتتلاقى و تترك التنابذ و تتعايش.

**الإشكالية:**

لم يكن اهتمام المجتمعات العربية بالثقافة إلى وقت قريب يفلت من النظرة القطاعية التقنية التي تميل إلى لغة الميزانيات و كيفية استهلاكها على حساب المضامين و غايات المضامين.

أفاقت المجتمعات العربية من غفوتها، فاكتشفت أن المجتمعات الغربية قد أنهت مشروع بناء الإنسان، و هي الآن تجني ثمار هذا البناء، في هذا الوقت لم تستطع المجتمعات العربية حسم أمورها مع الدين و الخصوصية و القبلية ... ،أمور أنهكتها و شغلتها عن طرح الأسئلة الجوهرية التي يجب أن تطرح في الزمن المناسب و إن تأخر طرحها أو ألغي.

و تتصف ثقافة العصر بأنها هجومية، لا تستأذن و لا تطلب ترخيصا لتحتل الفضاءات أو تحدث التأثير المرغوب بتصورها و المستهجن في تصور الثقافة العربية، و عليه يفرض على التجديد الثقافي خيار البقاء في وضعية الدفاع مسايرا السكون و الثبات الذين تتميز بهما الثقافة العربية.

و تقوم ثقافة العصر على التغيير اللحظي، و يمس عالم الأفكار كما يمس عالم تجسيد الأفكار في ممارسات واقعية فاعلة و فعالة.

ولما فشل الغزو العسكري في تحقيق أهدافه الدنيئة بتشويه ثقافتنا و محاولة طمسها، أصبحت الثقافة العربية تجابه تحديات أخرى، تحديات فرضها النظام العالمي الجديد أو ما يعرف بالعولمة.

إن المعلومات والأفكار والإيديولوجيات و المعارف و الديانات هي رموز و علامات، إلا أنها أيضا ثروات تم إنتاجها من قبل بعض الأفراد و الجماعات، و هي تنتشر بواسطة أفراد آخرين أو جماعات أخرى وهي تستهلك من قبل جماعات و مجموعات و أثنيات و ثقافات و بنهاية المطاف من قبل أفراد.

إن العولمة الاقتصادية هي توسع السوق العالمية، تصميم و تقوية الروابط بين الشعوب والأمم والمجموعات البشرية ،و تمثل العولمة الثقافية بشكل ما الحالة النهائية للعولمة الاقتصادية، إنها البعد الاقتصادي السياسي، الديني و الإيديولوجي لظاهرة تم التطرق إليها غالب الأحيان من زاوية الاقتصاد و الجغرافية السياسية.

فإلى أي مدى ساهمت العولمة في مجالها الثقافي في إنتاج ثقافة جديدة حلت محل الثقافة السائدة؟

و ما هو المسوغ الممكن لتمييز العولمة الثقافية عن العولمة الاقتصادية و السياسية؟

و ما الذي يجعل من الموروث الثقافي مجرد ثروات اقتصادية عادية؟

**الإطار المفاهيمي للدراسة:**

انتشر استخدام مصطلح العولمة في العديد من الكتابات السياسية و الاقتصادية في العقد الأخير ،و ذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات إستراتيجية و ثقافية مهمة من خلال تطورات واقعية عديدة في العالم منذ أوائل التسعينيات، إذ تعددت التعاريف لهذا المفهوم بتعدد أبعادها و مستوياتها:

**العولمة لغة:**

يقال عولمة على وزن قولبة و كلمة "العولمة" نسبة إلى العالم –بفتح العين- أي الكون و ليس إلى العلم –بكسر العين- و العالم جمع مفرد له

كالجيش و النفر و هو مشتق من العلم و ذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. [1]

و العولمة ترجمة لكلمة mondialisation الفرنسية بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي و هو ترجمة لكلمة globalization الانجليزية من جذر لاتيني هو glob بمعنى الكرة الأرضية. [2] إذا مصطلح جعل العالم واحدا و موجها توجيها واحدا في إطار حضارة واحدة،و له تسميات أخرى الكونية، الكوكبة ... .

**العولمة اصطلاحا:**

تذهب بعض البحوث و الدراسات العربية في مجال العولمة إلى أن مصطلح العولمة بدأ بالظهور تحديدا في أواسط الستينات في كتابين شهيرين هما: الأول:

War and peace in the global village "لمرشال ماك لوهان" و "كنت فيور" الذي طبع سنة 1970 أما الثاني: American role between two ages "لزيغينو بريجنسكي" [3]

و العولمة عبارة عن نظام عالمي يقوم على تحرير الأسواق و الفضاءات الاقتصادية و التبادلات التجارية و المالية و الخدمية، و على الاختراق المتواتر للخصوصيات و الحدود الثقافية و القيمية و الجغرافية و السياسية[1] .

---

[1] علاء عبد الجواد، **العولمة و المجتمع** ، الرواشدة ، دار الحامد ، عمان، 2007،ص14.

[2] **Dictionary of world origin** :libraries du Liban ,Beirut,1985,P111.

[3] غسان العزي، **في جذور العولمة**، و اشكالياتها، مجلة منبر الحوار، بيروت، العدد 37، 1999. ص45.

و يعبر المصطلح عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع تشمل العالم بأسره ،فقد استطاعت العولمة أن تفرض نهاية مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، لتبدأ مرحلة جديدة لم يعرفها العالم من قبل. إن العولمة واقعها و حقيقتها و مضمونها ذات طابع حركي ديناميكي ،وهي ظاهرة متكاملة الجوانب و الأبعاد معقدة في الحقيقة و المضمون. [2]

**العولمة الثقافية:**

نجد هنا التعريف الذي قدمه "برهان غليون" للعولمة و الذي قال فيه: "العولمة هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية و التقنية و الاقتصادية معا من التطور الحضاري، يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا للتوحيد ، و يستدرك على معنى الوحدة المقصودة هنا. فيرى أنها لا تعني التجانس و التساوي بين جميع أجزاء العالم و المجتمع البشري ،و لا تعني درجة عالية من التفاعل بين مناطق و مجتمعات بشرية مختلفة و متباينة .[3]

أما فيدرستون فيقول: "تتضمن العولمة الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعينة إلى أقصى حدودها أي العالم أجمع ،تصبح الثقافات المختلفة منخرطة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي بعد حين جميع العالم. [4]

---

[1] مصطفى محسن، **التربية و تحولات عصر العولمة**، ط 1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005.ص 19.

[2] محسن أحمد الخضيري، **مقدمة في فكرة و اقتصاد و إدارة اللادولة**، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ب ت، ص16.

[3] برهان غليون، سمير أمين، **ثقافة العولمة و عولمة الثقافة**، ط1، دار الفكر ،دمشق، ، 1999، ص75.

[4] محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص147.

- يعرفها محمد شعبان بأنها الدكتاتورية بعينها، وأنها تسلط فكري وحضاري ينادي بطمس الآخر، واقتصاد ثقافته لتبقى ثقافة واحدة هي الثقافة الأمريكية.[1]

- أو هي محاولة تعميم أفكار ومفاهيم ومبادئ ونظم وقيم ومعتقدات وأنماط من السلوك والعادات وطرائق المعيشة الغربية الأمريكية، وإعطائها صيغة العالمية، ثم محاولة إحلالها بل وفرضها على حساب الأفكار والثقافات والقيم والمبادئ والأخلاق والأنماط السلوكية و المعيشية الخاصة بالمجتمعات الأخرى، لاسيما المجتمعات الإسلامية .[2]

- أو هي تلك الجهود المبذولة من أجل فرض منظومة ثقافية معينة لمجتمع معين على كافة المجتمعات البشرية بوسائل وأساليب مختلفة .

- ويرى بعض الباحثين أن العولمة الثقافية تعني ذلك النسيج من القيم والعادات والأخلاق والفنون الخاصة بشعب ما ومحاولة تعميم ذلك النمط على شعوب العالم، لدمج العالم في نمط ثقافي عبر منافذ التكنولوجيا والأسواق العالمية .

- ويعرف البعض الآخر العولمة الثقافية على أنها" عملية شاملة فيشارك بها الجميع وليس ثمة تناقض بين العولمة الثقافية والخصوصية الثقافية، فوجود نمط ثقافي عالمي لا يعني القضاء على الأنماط الثقافية الوطنية والقومية والخصوصية الثقافية، بل ربما يؤدي إلى مزيد من تأكيدها ،و يرون

[1] محمد شعبان علوان، **عولمة الثقافة و ثقافة العولمة**، مؤتمر الدعوة الإسلامية و متغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص870.

[2] إسماعيل علي محمد، **العولمة و المجتمع**، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، 2008،ص15.

أن العولمة الثقافية لا تمثل ثقافة إنسانية جديدة، وإنما تمثل مجموع ثقافات ذات ملامح متشابهة تسعى إلى إلغاء الفوارق وإعلاء التماثلات .[1]

- وتشير العولمة الثقافية إلى بروز الثقافة كسلعة عالمية تسوق كأي سلعة تجارية أخرى ،ومن ثم بروز وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات و رموز و وسائط ثقافية عالمية الطابع ،وهي محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحّدة وذلك لسلخها عن ثقافتها و موروثها الحضاري، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن نظام يريد رفع الحواجز والحدود، إنه نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع إلى التفتت والتشتت ليربط الناس بعالم اللاأمة واللاوطن واللادولة [2]

إن منجزات الثورة التكنولوجية الكبرى في مجالات الاتصال السمعي البصري ساهمت بشكل كبير في تغيير كثير من قيم المجتمعات و أخلاقياتها وتقاليدها وعاداتها، وفي نهاية المطاف نشأت ظاهرة جديدة تتمثل في النزوع المتزايد إلى التجانس والتنميط الثقافي على مستوى العالم بأسره، بمعنى أن أسلوبا معينا في الحياة و السلوك والتفكير والاستهلاك واللباس وحتى الرغبات والأذواق، يتجه الآن إلى أن يصبح معمّما ويفرض نفسه في جميع المجتمعات، إضافة إلى الهيمنة الثقافية والتنميط الثقافي،

فإن زمن العولمة الثقافية تطبعه سمة أخرى تتمثل في ازدهار غير مسبوق للخطاب عن الحرية الديمقراطية وحقوق الإنسان.

---

[1] أحمد مجدي حجازي، **إشكاليات الثقافة و المثقف في عصر العولمة**، دار قباء الحديثة ، القاهرة، 2008.ص 41.

[2] محمد عابد الجابري، **العولمة و الهوية الثقافية**، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، العدد 22، 1998، ص14.

إن الوعي بأخطار الغزو التدريجي للنموذج الثقافي لم يعد محصورا على بلدان العالم الثالث، فهاهي فرنسا لم تترد من إبداء مخاوفها في اتساع هيمنة ثقافة العولمة وتطالب في هذا السياق منح الثقافة حق "الاستثناء الثقافي" للتصدي لها و درئها .[1]

**خصائص العولمة الثقافية:**

والحق أن "العولمة الثقافية" التي رأينا أن من خصائصها البارزة سعيها المستمر إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من التنميط والتجانس الثقافي على الصعيد العالمي ،قد تأتي في بعض الأحيان بعكس ما هو متوقع منها:

- إذ من الممكن أن تساهم الثورة الهائلة المصاحبة لها والمتمثلة في التقدم الذي تشهده ميادين تكنولوجيات الأقمار الصناعية والفضائيات .
- ممكن أن تساهم من دون قصد في لم شتات بعض القوميات، كما أنها تساعد في إعادة إحياء الروابط التاريخية والثقافية التي انفصمت فيما بينها بسبب رواسب العهد الاستعماري، ومن ثم ربما تبعث الروح في هوياتها الثقافية الوطنية وتعززها.

بيد أن لهذه الصورة الإيجابية المشرقة لظاهرة انتشار الفضائيات في العالم العربي وجها آخر ينبغي عدم تجاهله ولا إغفاله، ذلك أن الصحوة العربية الجديدة لم تكن وحدها الثمار المقطوفة من عصر البث الفضائي العربي في زمن العولمة الثقافية ،فإلى جانبها يلاحظ كثيرا من أجهزة الإعلام

[1] عبد الرزاق الداوى، **في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات حول هويات الوطنية في زمن العولمة**، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، ط1، بيروت، 2013، ص166.

العربي الرسمي رغم تلبسها بحلل العهد الإعلامي الجديد، قد استمرت في ممارسة عاداتها القديمة في التبشير بالرأي الواحد بل وفي فرضه أحيانا، كما غزت المجتمعات العربية ظواهر أخرى سلبية يمكن تصنيفها في خانة الاستلاب والتغريب الثقافي.

-إن المقاومة السليمة والمجدية للعولمة هي تلك التي تعتمد على القيم الإنسانية للحداثة ذاتها وتقبل بها وتساهم في تطويرها لتكون حداثة عالمية بالفعل وذات وجه إنساني حقا مع لزوم الفصل بين المكتسبات والقيم الإنسانية للحداثة التي يتوجب على البلدان العربية الاستفادة منها من أجل التحديث والتنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي هذا من جهة، والفكر السياسي للعولمة باعتبارها نظاما غير مسبوق للهيمنة في مختلف المجالات من جهة أخرى.

**العولمة واقتصاد الرمز:**

الحديث في التنمية اليوم لا يمكن القيام به بعيدا عن الحديث عن العولمة فالسياق التاريخي الراهن المطبوع بتحولات متسارعة لم تنته بعد، تميزه ديناميكية العولمة التي لا يمكن الإفلات منها.

واقع العولمة وقوانينها قلص بشكل كبير من سيادة الدول النامية منها على وجه التحديد وعلى قراراتها التنموية والثقافية وهذا بما تفرضه من مبدأ تقاسم السيادة و ممارستها مع المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات متعددة الجنسيات، لقد تمكنت العولمة كإيديولوجية من تكريس حدود جديدة.

منطق الأحادية الذي كرسته العولمة في الثقافة (ثقافة الاستعراض) والاقتصاد (اقتصاد السوق) والاجتماع (مجتمع الاستهلاك) صار مصدر تهديد

حقيقي على التنوع في العالم، فالحق الأساسي للإنسان_ الدول_ في أن يعرف هو نفسه ماهية حاجاته الأساسية صار مسلوبا بسبب الضغط الكبير والدائم الممارس عليه وعلى خياراته وأفكاره بفعل العولمة، الأمر الذي ولّد خوفا واضحا من أن تتحقق التنمية لكن بخسارة الهوية والقيم الثقافية.

العالم الراهن يعيش عولمة اقتصادية تجر وراءها عولمة أخرى ثقافية منطق الاقتصاد والتقنية ومطالبها (السرعة، الربحية، الآنية، الفعالية، القوة،...) صارا يفرضان نفسهما على منطق ومطالب الثقافة (التنوع، الانفتاح، الديمومة، الجمال، الذوق، الاستمرارية،...) ،فالليبرالية اليوم ترى في الثقافة أداة وسلعة وتتعامل معها على أنها مصدر للاستثمار الرأسمالي ،إن طبيعة العولمة لا تقتصر على بنى اقتصادية فقط أو على ميكانيزمات تجارية واتصالية فحسب ، ولكنها تحمل في طياتها عنفا رمزيا تمارسه على الثقافة باسم الحرية التي يسوق لها الخطاب الليبرالي، لقد انتقلت العولمة من "اقتصاد الاقتصاد" إلى "اقتصاد الرمز" [1]

فالرسائل المنبعثة من كل مكان والتي بإمكانها الوصول إلى كل نقطة في العالم، تتضمن محتوى ومضمونا ثقافيا مستمد من تصور معين للإنسان و المجتمع.

علاقة الاقتصادي بالثقافي هي علاقة النوع بالكل، لكن العولمة قلبت الموازين فجعلت من الاقتصادي هو الكل ومن الثقافي والاجتماعي هو النوع، الخادم

[1] Mohamed Chaouki Line, **Identités et Altérites** :Réflexions sur l'identité au pluriel , Editions El Ikhtilef , Alger,2002.P30.

للكل ، سياق العولمة ينحو بقوة نحو جعل كل شيء في خدمة الاقتصادي ومنطقه، جعل التنمية والثقافة في خدمة الاقتصادي.[1]

زمن العولمة هو زمن التهديد على الهويات والثقافات الفرعية وكذا طمس ملامح الخصوصيات الثقافية، العولمة وإن لم تتمكن من إضعاف الهويات الوطنية فهي على الأقل تضعها على المحك[2]

الأمر الذي يفرز ردات فعل تتضمن الانغلاق في الخصوصيات الثقافية الموروثة .

ليس من الصدفة أن قضايا الخصوصية الثقافية، صراع الحضارات ، حوار الحضارات و أزمة الهوية .... ظهرت بالتحديد في سياق العولمة وديناميكية التنميط التي تفرضها.

**عولمة الهوية :**

إن ما نحاول طرحه أو نحاول شرحه و تسويغه أن مشكلة الهوية الثقافية عندنا إنما تكمن في المقام الأول ، لا في قوى العولمة أو غزو الأمركة ، بل لدى أهل الهوية و حماتها من النخب المثقفة .لم تعد المهمة الآن العمل على تغيير العالم بعد أن انشغل الفلاسفة بتفسيره على ما قال ماركس ، ولا هي في المقابل أن نفسر العالم بعد فشل محاولات التغيير كما يقول البعض ،

[1] نبيل علي ،**الثقافة العربية و عصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، سلسلة عالم المعرفة، العدد 256، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، جانفي ،2001، د ص.

[2] Conseil de l'Europe, **La culture au Cœur** ,contribution au d'ébat sur la culture et le développement en Europe ,Edition conseil de l'Europe ,Strasbourg, 1998,P10.

ذلك أن كل مقاربة هامة للعالم إنما تسهم في تغييره بقدر ما تعيد تشكيله عبر الأفكار الخلاقة و المفاهيم الخارقة .

و لا يعني ذلك أن المجتمع تغيره الأفكار و النظريات بصورة فوقية أو بعقلية نخبوية على يد فرد يحاول قولبة البشر بحسب تصوراته المجردة أو مثلاته المطلقة ، أو على يد فئة تدعي أنها تملك النظرية العلمية التي تتيح لها القبض على قوانين المجتمع و تغييره ، وإنما التغيير هو عمل يومي أو جهد حثيث و مراس دائب ، انه سيرورة معقدة و متحولة تتم على المستوى المصغر ،و بشكل غير مرئي ،لكي تنتج التحولات الكبرى و القفزات النوعية ، و هذه العملية يسهم فيها كل فرد في قطاعه بفكره و نتاجه أو في بيئته و محيطه عبر مسلكه و تصرفاته .

إن ما نحتاج إليه الآن هو الخروج من فوقعة الهوية و معسكرات العقائد لكي نتعاطى مع خصوصيتنا و معطيات وجودنا ، و بصورة حرة و نقدية و بطريقة حية مفتوحة على الأحداث و التطورات ، و ذلك من اجل قلب الأولويات و إعادة إنتاج الهوية بشكل يخرجها مخرجا أكثر قوة و فاعلية و حضورا .

ومن هنا نرى أن لا يستعجل الحريصون على الوعي و الهوية و الصراع الإيديولوجي من ثورة المعلومات و انفجار التقنيات و الوسائط ، فالمنظومة الإيديولوجية و فلسفات التاريخ قد تكون مصدرا للوعي أو أداة للتثقيف و التنوير ، و لكنها قد تكون في المقابل أداة للتزييف و التضليل خصوصا و أن اللاوعي و الوهم أو الخداع لها دورها في تشكيل الوعي و قرارات العقل و سير التاريخ .

إننا نتعامل مع الهوية بمنطق الحراسة و المدافعة فنزداد ضعفا و نخسر ما نريد المحافظة عليه ، بقدر ما نفقد حيويتنا الفكرية و طاقتنا على المبادرة الفعالة و العمل الخلاق ، فحراسة الأفكار هي مقتلها و انغلاق الهويات علامة على ضعفها ، أما الهوية القوية و المزدهرة فهي القادرة على التوسع و الانتشار عبر عمل نقدي فعال يطال المسلمات و الثوابت و يكسر القوالب و النماذج بقدر ما يجدد القيم و المعايير أو يولد الجديد من المفاهيم الخارقة و الأفكار الحية و بهذا المعنى نحن لا نحتاج إلى الدفاع عن هويتنا بقدر ما نحتاج إلى عمل منتج نتجدد به بقدر ما نزداد تجذرا.

**الاستلاب الثقافي:**

إن سعينا من أجل تقارب الحضارات يؤدي إلى خلق عالم بلا حدود ثقافية وما هو إلا وجه من الوجوه العديدة للعولمة الثقافية ،حيث أن هذه الأخيرة قد تتجه نحو صراع الحضارات ونحو الهيمنة لثقافة واحدة على سائر الثقافات ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجا على الصعيد العالمي.

فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حاليا لترابط المناطق الثقافية يمكن أن ترسخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة، و يتفق أغلب الباحثين على أن العولمة الثقافية ما هي إلا عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم ،ويحاول بعض الكتاب الأمريكيين الإيحاء إلى أن هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى للبلدان مما يؤدي إلى سيطرة الثقافة الأمريكية عليها، هذه الصفات السلبية في استخدامها لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من

الصفوة ومن رجال الدين ،ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه أو الغازية لمجتمعه.[1]

إن من خصائص الواقع المادي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية أنه في حالة صيرورة وتغير مستمرين حتى لو بدا لنا ساكنا أو بطيء الحركة ،ومن هذا المنظور الواقعي نراهن أن الهوية الثقافية للشعوب ليست معطى ثابتا بل هي انجاز وعملية تشييد وبناء مستمرة، إننا نرى أن رفع شعار الحفاظ على الهوية الثقافية بالتقوقع وغلق الأبواب والنوافذ خوفا عليها قد يكون من أنجع السبل لكي تصاب بالجمود والعقم، إننا في توجهنا نرفض الانسياق مع المواقف التي تصنف مكتسبات مثل قيم التنوير، والحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان ضمن مظاهر الرضا بالهيمنة الثقافية و تسويغ الاستلاب الثقافي ،هذا الأخير الذي يمكن تشخيص أهم أعراضه في الشعور بالضياع والفقدان التدريجي للهوية الثقافية وفي التبعية لثقافة الآخر المهيمنة.

إن الحماسة التي تبديها المجتمعات المنتمية إلى الثقافة العربية أحيانا لخوض معركة التحديث والتنمية والإصلاح والسعي إلى توطين الفكر الديمقراطي في الثقافة وفي المؤسسات، غالبا ما يقترن عندها بتولد مشاعر الخوف من ضياع الهوية كثمن يتوجب بذله في مقابل هذا التحديث ذاته، هذا بالإضافة إلى مشاعر التهيب من الدخول في صراع آخر مواز ضد مظاهر الهيمنة الثقافية الأجنبية في أشكالها الأكثر استحواذا واكتساحا.

إن الحالة السوية والطبيعية لأي ثقافة ولأي هوية ثقافية هي أن تظل قادرة على الحياة وعلى الانفتاح والتطور والتفاعل والاغتناء والعطاء.

---

[1] علاء عبد الجواد، **مرجع سابق**، ص71.

إنه لا يمكن للمواطن العربي إلا أن يستثني من دائرة الاستلاب والهيمنة الثقافية كل إقبال واع من طرف مجتمعاتنا وأقطارنا على الاستفادة من المكتسبات الإيجابية للثقافة الإنسانية العالمية طلبا للتقدم.

**تحليل النتائج:**

أثرت العولمة بشكل أو بآخر في كل المجتمعات ،و قد نال الوطن العربي على امتداد مساحته نصيبه من ذلك التأثر و ربما كان نصيبه أكبر من غيره بسبب موقعه في نقاط التقاء القارات الثلاث: آسيا إفريقيا و أوروبا و مرور خطوط التجارة العالمية به و ثرواته النفطية التي تشكل عصب الصناعة الغربية لذلك كان محط أنظار الإمبراطوريات الكبرى عبر التاريخ و آخرها إمبراطورية العولمة.

- لقد تعرضت المجتمعات العربية إلى حملة شرسة هدفها اسلاب هذه المجتمعات ثقافتها و تغريبها بسبب الجهل و الحرمان الذي يسودها، إن هذا الإرسال يتلاعب بالعواطف و نتيجة الفراغ الهائل الذي تعانيه هذه المجتمعات فان استجاباته لما يبث له كبيرة، كما أن التفاوت بين مصادر القوة و النفوذ بين الشمال و الجنوب كرس التبعية و عزز الهيمنة.
- لقد نجحت العولمة الثقافية في توسيع الهوة بين الأجيال دون محاولة لتذويب الاختلافات أو بناء الجسور التي يعبر عليها كل جيل ،و بذلك تتهيأ الفرصة لحدوث صراع حاد بين الأجيال يقوض أي تماسك اجتماعي و ينمي الفردية و يضعف الولاء للمجتمع.
- إن العولمة ظاهرة غريبة عن المجتمع العربي الذي تحكمه قيم و سلوكيات و ثوابت حضارية خاصة به، فلم يتمكن من هضم منطق العولمة الذي يطالب العالم أن يتأقلم ضمن سلوكية حياتية واحدة.

- تعاني المجتمعات العربية مشاكل داخلية و قضايا أمنية مستمرة لا وقت عنده لاستقبال و دراسة و فهم ظاهرة العولمة ،كما أن هذه الأخيرة و ربما من هذا المنطلق زجت بكل ثقلها في الوطن العربي لتمرير نظرياتها.

- إن العولمة في شكلها الثقافي تهدف إلى إزالة الحدود الدينية و العادات و التقاليد حيث تكون العقول المستقبلة للمادة الثقافية أكثر انفتاحا و تقبلا لما يأتي من الخارج دون التفكير أو إعادة نظر بعد أن حطمت كل بوابات المراقبة و النقد.

- يقوم النظام العالمي الجديد في مشروعه المعولم لكل شيء على اختراق الثقافات الوطنية و الثوابت الذاتية ،و يعمل على طمس معالم الذات و الأصل و الشروع في طرح بدائل هجينة منمقة بحيث تجلب الأنظار و من ثمة القلوب و العقول.

- قبل تسارع التغيرات و حدوث ثورة الاتصالات الحديثة ،كان الوعي يحيا دائما في فضاء داخلي و من خلال رموزه و معاييره بتعامل مع الفضاء الخارجي، و قد كانت الحدود بين الذات و الآخر واضحة ،أما الآن فقد اندست و زالت الحدود و صار التعرف على (الأنا) و (الآخر) أمرا معقدا للغاية.

- إن العولمة لا تستوطن بلدا و إنما تستوطن الفضاء المعلوماتي الذي تصنعه شبكات الاتصال و عن طريق ذلك الفضاء تخلع الفرد من هويته و المجتمع من أمته .[1]

**الخاتمة :**

[1] عبد الكريم بكار، **العولمة طبيعتها و سائلها تحدياتها التعامل معها**، ط3،دار الأعلام، الأردن، 2013، ص69.

إن الواقع الذي تعيشه بلدان العالم العربي يوفر الفرص المواتية أمام تغلغل التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية و خاصة و أن هذه الدول لا تملك أي مضادات تحمي بها نفسها خطر الوباء الذي ينهش بناءها ، بناء تعاقبت عليه أجيال و أجيال و استغرق من الزمن ما لن نستطع إحصاءه.

إن الثقافات الوافدة تشكل خطرا على الهوية العربية و الإسلامية و بخاصة في ظل ضعف التحصينات الداخلية و الانفتاح بلا وعي على العالم الغربي و خصوصا الجانب الإعلامي ، إنها تستهدف القضاء النهائي على التراث الثقافي و المكون الحضاري للأمة العربية و الإسلامية بعد أن لم يبق في مواجهة الطغيان الغربي سوى الإسلام و ما يحمله من الضوابط و القواعد الأخلاقية.

إن رصد العولمة وفق مجريات تطورها و ما ينتج عنها من تطورات و بما تمثله من تحديات تطرح علينا تجاوز منطق قبولها أو رفضها ، لأن مجموعة التفاعلات العالمية المصاحبة لها قد أصبحت وقائع فعلية توجب علينا البحث الجاد في كيفية التعامل معها و التفكير النقدي في الاستراتيجيات و الخطط التي نمتلكها و التي ستحدد موقعنا في مجريات الحدث على ضوء أهدافنا و إمكانياتنا و سبل الاستفادة منها ،أي أن تأثيرات العولمة على رغم طابعها الكوني و ما تملكه من طاقات ليست قدرا محتوما يحدد مصيرنا مما يجري سلفا، بل إن هذا المصير مرتبط إلى حد كبير بما سنعمل و كيف سنواجه، و لا يفيدنا في شيء تجاهل ما يجري أو رفضه انفعاليا ، فلا موقعنا و لا أهدافنا المستقبلية تتيح لنا تجنب التفاعل مع ما يحدث على الساحة العالمية.

**قائمة المراجع و المصادر:**

- أحمد مجدي حجازي، **إشكاليات الثقافة و المثقف في عصر العولمة**، دار قباء الحديثة ، القاهرة، 2008.
- إسماعيل علي محمد، **العولمة و المجتمع**، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، 2008.
- برهان غليون، سمير أمين، **ثقافة العولمة و عولمة الثقافة**، ط1، دار الفكر ،دمشق، ، 1999.
- علاء عبد الجواد، **العولمة و المجتمع** ، الرواشدة ، دار الحامد ، عمان، 2007.
- عبد الكريم بكار، **العولمة طبيعتها و سائلها تحدياتها التعامل معها**، ط3،دار الأعلام، الأردن، 2013.
- مصطفى محسن، **التربية و تحولات عصر العولمة**، ط 1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005.
- محسن أحمد الخضيري، **مقدمة في فكرة و اقتصاد و إدارة اللادولة**، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ب ت.
- محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
- عبد الرزاق الداوى، **في الثقافة و الخطاب عن حرب الثقافات حول هويات الوطنية في زمن العولمة**، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، ط1، بيروت، 2013.
- غسان العزي، **في جذور العولمة**، و اشكالياتها، مجلة منبر الحوار، بيروت، العدد 37، شتاء 1999.
- محمد عابد الجابري، **العولمة و الهوية الثقافية**، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، العدد 22، 1998.
- محمد شعبان علوان، **عولمة الثقافة و ثقافة العولمة**، مؤتمر الدعوة الإسلامية و متغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005.
- نبيل علي ،**الثقافة العربية و عصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، سلسلة عالم المعرفة، العدد 256، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، جانفي 2001.

- Conseil de l'Europe, **La culture au Cœur** ,contribution au d'ébat sur la culture et le développement en Europe ,Edition conseil de l'Europe ,Strasbourg, 1998.

- **Dictionary of world origin** :libraries du Liban ,Beirut,1985.

- Mohamed Chaouki Line, **Identités et Altérites** :Réflexions sur l'identité au pluriel , Editions El Ikhtilef , Alger,2002.